١٦٥٥٦

مجله	حضارة الاسلام
تاريخ نشر	شوال و ذوالقعده ١٣٩٩
شماره	٨ - ٩ سال بيستم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نويسنده	عبدالغنی الخطيب
تعداد صفحات	١٠٩ - ١١٣
موضوع	الحكمة في غزات المعاصي دون الشرك والكفر
سرفصلها	
كيفيت	
ملاحظات	

في غفران المعاصي دون الشرك والكفر

للأستاذ عبد الغني الخطيب

(١)

جاء الاسلام لتطهير الفطرة من ادران الشرك ، وتخليص الانسانية من اوضار الوثنية ، وتزكية النفوس من عفن الشهوات ، وجلاء القلوب من عمى الضلالات ، وتحرير العقول من الاوهام والخرافات ، حتى تصفو مواهب الانسان من اكدار الرعونات ، وتسمو نفسه عن الدنايا والمحقرات ، ويكمل عقله ، ويتضح تفكيره ، ويعلو بانسانيته الى صفوف الملائكة الإطهار .

الا ان الشيطان اللدي عصى الله في السماء ، وحسد آدم في الجنة ، وحقد على ابنائه في الارض ، وقف لهم في طريقهم الى الله ، فاجتال الكثير منهم عن سبيل الحق والخير ، وصرفهم الى سبيل الباطل والشر ، وذهب بهم كل مذهب في مهاوي الضلال ، ومراتع اللذة والشهوة ، ومزالق الفتنة والفساد ، وادخل عليهم الشرك الجلي ، فاجلى من قلوبهم الايمان الفطري ، وبث فيها الشرك الخفي ، فاختفى من قلوبهم الاخلاص لله ، فضلوا عن طريق الحق ، وسلكوا سبيل الباطل .

والشرك يطمس العقول ، ويدنس النفوس ، ويهبط بالفطرة الانسانية من أوج كرامتها ، ومناط عزتها ، الى حضيض المهانة والذلة بالخضوع والخنوع والاستجداء لبعض المخلوقات التي لا تستطيع أن تجلب نعمة او تدفع نقمة .

والشرك هو نهاية انحطاط الروح من سموها ، وتجريد الفطرة من صفائها وسلخ الانسانية من كرامتها ، واسقاط النفس في حضيض رذائلها ، واركاس العقل في دركات الغباء والعماء والاسفاف في الفكر حتى فقدان التفكير .

فمن الشرك تنشأ جميع المفاسد والرذائل ، وتتولد جميع الخسائس

(١) فكل ما نتحدث به عن الشرك فهو عن الكفر ايضا ، لان كل شرك فهو كفر .

والسفالات ، والشرك يسلب الانسان كرامته الانسانية ، ويجرده من مزاياه العقلية ، فيتخيل الحجر او الشجر الها فيعبده ويتخرع اليه ، ويرفع بعضا من ابناء جنسه الى مرتبة الاله فيذل له ويخضع ، وهذا هو الذي افسد الجماعات ، واهان الكرامات ، وحول المجتمعات البشرية الى قطعان من الماشية يهيمون وراء سدنة الاصنام وكهنة الاوثان ، ويخنعون خنوع العبيد لسلطة الملوك والزعماء ، وظلم الطغاة والرؤساء ، حتى استذلوهم واستعبدوهم ، وتصرفوا فى انفسهم واعراضهم واموالهم تصرف السيد المالك القاهر بالعبد الضعيف الذليل العاجز . وناهيك بما يتفرع عن ذلك من الاخلاق الفاسدة ، والنفوس الحاقدة ، والرذائل التي تنتشر من حقارة ومهانة ، وضعف وذل ودناءة ، وتملق وكذب ، ونفاق وزور وتدجيل ، وغير ذلك من الصفات التي تودي بالانسان والانسانية . فالتوحيد الذي جاءت به الرسل واقره العقل ، هو اثبت الحقائق ، واعلى ما يصل اليه البشر من المعارف ، وافضل ما تتزكى به النفوس ، وتترقى به العقول ، وقد بعث الله به جميع رسله الى جميع الامم ، فكان كل منهم يدعو اليه امته ، وكان يستجيب الناس اليه بقدر استعدادهم لفهم هذه الحقيقة العليا .

وما التوحيد الذي يناقض الشرك ، الا اعتاق الانسان من عبوديته للحجر والشجر والبشر والشمس والقمر ، وكل الآلهة الباطلة التي اذلته وسلبت كرامته .

وتحريره من كل عبودية سوى عبوديته لله التي جعلته عزيزا كريما ساويا لامثاله من البشر ، ولا يخضع خضوع عبودية إلا لمن عنت له الوجوه وخضعت له جميع الكائنات طوعا او كرها ، بما اقام فيها من العدل والانسجام والنظام والاحكام يربط اجزاءها بالسنن والنواميس العامة ، والاسباب والمسببات .

فلقدرته القادرة يخضع ، ولحكمته الباهرة يخشع ، ولشريعته العادلة يتبع ولا يخضع لمخلوق على الاطلاق ، إلا لمن امره الله بطاعتهم ، من رسول يبلغ شريعته (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله)(٢) وحاكم يطبق عدالته (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)(٣) وابوين احسنا اليه (فهل جزاء الاحسان الا الاحسان)(٤) (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)(٥) .

(٢) النساء ٨٠ .
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) الرحمن ٦٠ .
(٥) الاسراء ٢٣ .

بذلك تسمو روح المؤمن ، وتصفو فطرته ، وتحرر كرامته ، ويرد اليه اعتباره ، ان كان حاكما عدل بغير عنف ، وان كان محكوما اطاع بغير خضوع فيسعد الفرد ، وتقوى الامة ، وتنكشف الغمة . ومهما اذنب اهل التوحيد ، فذنوبهم لا تحيط بارواحهم ، ولا تلوث قلوبهم ، ولا تطلمها فتطبعها ، ومهما نالهم شيء من الاثم تذكروا الله فذكروه فتاب عليهم انه هو التواب الرحيم ، (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)(٦) ثم يؤدون فرائضهم وواجباتهم ، ويتبعون السيئة الحسنة تمحوها (ان الحسنات يذهبن السيئات)(٧) وفي الحديث « واتبع السيئة الحسنة تمحها » .

واما المشركون : فمهما طعموا وتمتعوا ، ومهما تلذذوا وتوسعوا ، فارواحهم سافلة ، وقلوبهم مظلمة ، واخلاقهم فاسدة ، واعمالهم مهما صلحت في الظاهر فهي عند الله باطلة (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)(٨) فحياتهم في سجن من الشقاء والعبودية لسادتهم ولشهواتهم ، وللخوف من انقطاع ملذاتهم ، (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)(٩) وللآخرة اشد شقاء ، وادوم بقاء .

والشرك لا يغفره الله لانه يؤثر في النفس اسوا تاثير ، ويكيفها بكيفية خاصة ، من الظلمة وفساد الفطرة ، لا يزول ذلك بمقتضى سننه تعالى في النفوس البشرية ، وتاثير عقائدها واعمالها فيها ، الا بما يضاد ذلك الشرك في الدنيا ، من التوحيد الحق ، والايمان الصدق ، والعمل الصالح المخلص الذي يزكي النفس ، ويطهر الضمير الذي يؤنبه ويقرعه عند ارتكاب كل إثم (ولا اقسم بالنفس اللوامة)(١٠) فينشأ حينئذ خلقا جديدا ، ولا يمكن ان يكون ذلك التطهير والتزكية يوم القيامة يوم الحساب والجزاء ، قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(١١) وقال تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(١٢) واما غفران المعاصي ، فلانها لا تنفك عن خوف عقاب ورجاء عفو وغفران ، ولانها لوقت الهوى والشهوة فقط ، بخلاف الكفر ،

(٦) الاعراف ٢٠١ .
(٧) هود ١١٤ .
(٨) الفرقان ٢٣ .
(٩) محمد ١٢ .
(١٠) القيامة ٢ .
(١١) النساء ٤٨ .

فانه مذهب يعتقد للابد ، وحرمته لا تحتمل الارتفاع اصلا ، فكذلك عقوبتـه ، بخلاف المعصية .

وايضا : فان الكفر نهاية في الجناية لا يحتمل الاباحة ، فلا يحتمل العفو ، بخلاف المعصية . وما قيل : من ان نهاية الكرم تقتضي العفو عن نهاية الجناية، مردود بأن محل ذلك إذا لم يكن العفو اخلال بالحكمة ، وكان فيه تسوية بين المسيء اكبر اساءة ، والمحسن اكبر احسان .

وايضا : فان الكافر يعتقد ان كفره حق ، ولا يطلب له عفـوا ، فلم يكـن العفو عنه حكمة ، بخلاف مرتكب الصغيرة ، فانه يعتقدها اثما ويطلبها العفو .

وايضا : فان الكافر يعتقد اعتقادا ابديا في تقديره حقيقة كفره ، فيوجب ذلك جزاء الابد ، بخلاف سائر الذنوب ، فلا ابدية فيها حتى توجب جزاء الابد . فكان في العفو عن الشرك او الكفر اخلال بالحكمة الابدية دون العفو عن المعاصي .

خمسـه في خمسـة ...

وضع الله سبحانـه وتعالـى :

العجـة في القـرآن .
والعـز في القناعـة .
والـذل في المعصيـة .
والهيبـة في قيـام الليـل .
والغنـى في تـرك الطمـع .

(١) الزمر ٦٥ .